قلب موزع

للكاتب أنطونه تشيكوف

بقلم الأديب كمال الدين الحجازى

عادت « ناديا زلينينا » وأمها من الملهى بعد أن شهدت إحدى الروايات ، وعندما دخلت غرفتها خلعت ملابس السهرة وأرخت شعرها وبدأت تكتب رسالة إلى حبيبها : « أحبك .. ولكنك لاتحبنى .. أجل لا تحبنى » ولما كتبت ذلك ابتسمت طويلا . كانت ناديا فى السادسة عشرة من عمرها ، وكانت فتاة غريرة لم يطرق الحب قلبها ، إلا أنها كانت تعلم أن « جورنى » الضابط و « جرونسدف » الطالب كانا يحبانها . ولكنها بعد مشاهدتها الرواية فى الملهى بدأ الشك يتسرب إلى قلبها فى حبهما لها ، وكم تمنت لوكانا يكرهانها حتى تصبح سعيدة . فما أجمل أن يحب المرء شخصاً ويتهالك فى حبه ، بينما الآخر لايبادله ذلك الحب ! إن بطل الرواية « أونيجن » كان محقا عندما كان يهزأ بالحب ! بينما كانت « تاتيانا » تؤمن به . وقالت ناديا فى نفسها : ترى لو أحب كل منهما الآخر حباً شديداً هل يكونان سعيدين ؟ لا بل اعتقد أن السآمة ستتنابهما لا محالة ! ثم واصلت ناديا الكتابة إلى جورنى : « لا .. لا تزعم أنك تحبنى .. إننى لا أصدقك ، حقا إنك شجاع جداً ، ومثقف واسع الثقافة ؟ وأنك تنظر إلى المستقبل متفائلا ، إلا أننى فتاة ساذجة لا أصلح لك ، وأنت تعتقد فى قرارة نفسك أنك لاتستطيع العيش معى . إننى لا أنكر أنك تعلقت بى وأحببتنى واعتقدت أنك وجدت فىّ فتاة أحلامك ... إلا أنك مخطىء فى هذا الاعتقاد ، وكنت تسائل نفسك : لماذا أحببت هذه الفتاة ! وإننى أعتقد أن طيبة نفسك لا تعترف بذلك وما إن أتمت كلماتها هذه حتى بكت بكاء طويلا ! ولما خف بكاؤها واصلت الكتابة « كم تمنيت أن أرتدى لباس الراهبات وأذهب إلى الدير لولا أننى أخشى أن يكون ذلك عبثاً ثقيلا على أمى . . وعندها تستطيع أن تحب فتاة غيرى . . آه كم أتمنى الموت !! » وكانت تتساقط دموعها على الطاولة وتشكل أقواساً متقطعة . ثم كفت عن الكتابة وأسندت رأسها على الكرسى تفكر ! كان جورنى جميل الخلق والخلق ، وما أبرعه فى الموسيقى ! وكم كنت أطرب لصوته العاطفى الحنون ! كان يخفى عنى حبه للموسيقى ، ولكننى عرفت ولعه بها ، ولولم يكن ضابطاً لكان موسيقاراً عظيما ! ولما كفت ناديا عن الكتابة . تذكرته وهو يناغيها بكلمات الحب والغرام ... وفجأة شعرت أن نفسها تكتب إلى حبيبها « جرونسدف » الطالب « إنه طالب ماهر ، وكان يسهر معنا بالأمس ، وكنا سعيدين حقاً » ثم مدت ذراعيها على المنضدة وأحنت رأسها ، فتذكرت أن جرونسدف يحبها وله الحق أن ينال فى كتابتها ماهو أهل له مثل جورنى . وشعرت أن طيفاً بدأ يداعب خيالها فأحست بسرور لم تعهده قبلا وانثالت عليها الذكريات بشدة ، وقد سرى هذا السرور من صدرها إلى يديها ورجليها ، فكأن نسيما عليلا داعبها وحرك شعرها فارتجفت ذراعاها فضحكت ضحكة هادئة ، فاهتزت المنضدة والمصباح كأنهما يشاركانها الفرح ! ! وكانت الدموع تتساقط على الرسالة ... ثم بدأت الذكريات تتوالى عليها كرة أخرى عن الطالب وحبه لها ، فتمددت هذه الذكريات فى رأسها وتغلبت عليها وأصبحت موزعة بين جميع الأشياء ، فبينما هى تفكر فى أمها إذ بها تفكر فى الشارع وفى قلمها وفى البيانو ، وكانت سعيدة فى تفكيرها ووجدت أن كل ما يخطر على بالها حسن وجميل ! وكانت تشعر أن السعادة تناديها قائلة : « ليس هذا كل شىء ... بل ستشعرين بسعادة أكثر فى الغد ، سيهل الربيع والصيف وسيذهب الحبيبان معك إلى « جوربكى » بصحبة أمك ، وسيزورك جورنى فى عطلته ، ويسير معك فى الحديقة فينتعش حبكما ، كما سيزورك جرونسدف وستلعبان معاً لعبة الكركت ويقص عليك قصصه الحلوة اللذيذة » ...

وعندما وجدت نفسها تسير فى الحديقة وتخيلت جورنى يسير معها فى ظلمة الليل ، ترعاهما النجوم وتحجبهما الأشجار عن أعين العذال ! فضحكت لهذه التخيلات الجميلة وتمنت لو تحققت فى الحال . ثم عادت إلى فراشها ولم تدر كيف توزع سرورها وفرحها بالقسطاس فقد تغلبت عليها ! فنظرت إلى تمثال المسيح المعلق فى صدر غرفتها وقالت : « يا إلهى ... يا إلهى ، كم أنا سعيدة ! » ...

« القدس »

كمال الدين الحجازى